(٩٨) سورة البيِّنة

في رحاب السورة الكريمة

سورة مدنية آياتها ثمان، نزلت بعد سورة الطلاق تعالج القضايا الآتية:

أولا: موقف أهل الكتاب من دعوة النبى ﷺ.

ثانيا: موضوع إخلاص العبادة لله جل وعلا.

ثالثا: مصير كل من السعداء والأشقياء يوم القيامة.

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن اليهود والنصارى وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ ثم تحدثت عن عنصر هام من عناصر الإيمان هو إخلاص العبادة لله كما تحدثت عن مصير أهل الإجرام وهم "شر البرية" من كفرة أهل الكتاب والمشركين وخلودهم فى النار، وعن مصير المؤمنين أصحاب المنازل العالية السامية وخلودهم فى جنات النعيم وقد سميت بسورة البينة لأنها أوضحت وبينت أن المشركين لن يتراجعوا عن شركهم وكفرهم حتى تأتيهم الحجة الساطعة وعندما جاءهم الرسول ﷺ تفرقوا إلى فريقين "مؤمنين وكافرين".

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨ ﴾

معانى المفردات:

منفكين: مزايلين ما كانوا عليه　　تأتيهم البينة: الحجة الواضحة

فيها كتب: أحكام مكتوبة قيمة: مستقيمة عادلة

حنفاء: مائلين عن الباطل إلى الإسلام

دين القيمة: الملة المستقيمة أو الكتب القيمة

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أى لم يكن أهل الكفر والجحود، الذين كفروا بالله ورسوله من اليهود والنصارى من أهل الكتاب ومن المشركين عبدة الأوثان منفصلين ومنتهين عما هم عليه من الكفر حتى تأتيهم الحجة الواضحة[1] وهى بعثة النبى محمد ﷺ ولهذا فسرها بقوله ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ أى تقرأ عليهم صحفا منزهة عن الباطل عن ظهر قلب لأن النبى ﷺ أمى لا يقرأ ولا يكتب قال القرطبى: أى يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب يتلوها عن ظهر قلبه لا عن كتاب[2] وقال ابن عباس "مطهرة" عن الباطل من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال قتادة مطهرة عن الباطل[3] ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أى فيها أحكام قيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل قال الصاوى: المراد بالصحف القراطيس التى يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها وإنما قال فيها "كتب قيمة" لأن القرآن جمع ثمرة كتب الله المتقدمة[4] ثم ذكر الله تعالى من لم تؤمن من أهل الكتاب فقال ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ أى وما اختلف اليهود والنصارى فى شأن محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءهم الحجة الواضحة الدالة على صدق رسالته، أنه الرسول الموعود به فى كتبهم قال أبو السعود: والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة، وتغليظ جنايتهم ببيان أن تفرقهم لم يكن إلا بعد وضوح الحق[5] وقال فى التسهيل: أى وما اختلفوا فى نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق وإنما خص أهل الكتاب هنا بالذكر لأنهم كانوا يعلمون

---

(١) لم تذكر السورة الكريمة أنهم منفكون عن ماذا؟ لكنه معلوم إذ المراد هو الكفر والضلالة التى كانوا عليها صفوة التفاسير ص ١٧٥٢.

(٢) تفسير القرطبى ١٤٢/١٩.

(٣) تفسير المرجع السابق.

(٤) تفسير الصاوى ٣٤٢/٤.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٢١٢/٤.

صحة نبوته بما يجدون فى كتبهم من ذكره[1] ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أى والحال أنهم ما أمروا فى التوراة والإنجيل إلا بأن يعبدوا الله وحده مخلصين العبادة لله جل وعلا ولكنهم حرفوا وبدلوا "حنفاء" أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، مستقيمين على دين إبراهيم عليه السلام دين الحنيفية السمحة الذى جاء به خاتم المرسلين ﴿ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ ﴾ أى وأمروا أن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، فى أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ وذلك الدين المذكور من العبادة والإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الملة السمحة المستقيمة ــ دين الإسلام ــ فلماذا لا يدخلون فيه؟ ثم ذكر بعد ذلك حال كل من الأبرار والأشرار فى دار الجزاء والقرار فقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ ﴾ أى إنّ الذين كذبوا بالقرآن ونبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان هؤلاء جميعهم يوم القيامة فى نار جهنم ماكثين فيها أبدا لا يخرجون منها ولا يموتون ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ أى أولئك هم شر الخلق على الإطلاق قال الإمام الفخر فإن قيل لم ذكر "كفروا" بلفظ الفعل، و "المشركين" باسم الفاعل، فالجواب هنا على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والأنجليل ومقرين بمبعث محمد ﷺ ثم إنهم كفروا بعد مبعثه بخلاف المشركين فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان[2] وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ لإفادة الحصر أى شر من السُّراق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ وشر من قطاع الطرق كذلك لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق[3] ثم ذكر بعد ذلك مقر السعداء فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى المؤمنين الذين جمعوا من الإيمان وصالح الأعمال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ أى هم خير الخليقة التى خلقها الله عز وجل ويراها ﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أى ثوابهم فى الآخرة على ما قدموا من الإيمان والعمل الصالح جنات إقامة دائمة يجرى من تحت قصورها أنهار الجنة ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ ﴾ أى ماكثين فيها أبدا لا يموتون ولا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢١٢.

(٢) التفسير الكبير للرازى ٣١/٤٩.

(٣) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٧٥٠.

يخرجون منها وهم فى نعيم دائم لا ينقطع ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ أى رضى الله عنهم بما أعطاهم من الخيرات والكرامات ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ أى ذلك الجزاء والثواب الحسن لمن خاف الله واتقاه وانتهى عن معصيته.

الإعراب:

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ	لم حرف نفى وجزم وقلب يكن مضارع مجزوم علامة جزمه السكون، الذين اسم موصول مبنى فى محل رفع اسم يكن، كفروا فعل ماضى والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، من أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والكتاب مضاف إليه والمشركين معطوف منصوب بالياء منفكين خبر يكن منصوب، حتى حرف غاية وجر، تأتيهم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والهاء فى محل نصب مفعول به، البينة فاعل مرفوع.
رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً	رسول بدل من البينة. من جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسول وجملة يتلو صفة ثانية صحفا مفعول به منصوب، مطهرة صفة لصحف منصوبة بالفتحة الظاهرة.
فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ	فيها جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم وكتب مبتدأ مؤخر مرفوع قيمة نعت مرفوع لكتب والجملة صفة ثالثة لصحف.
وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ	الواو استئنافية، ما نافية، تفرق فعل ماض، الذين اسم موصول فى محل رفع فاعل، أوتوا فعل ماض مبنى والواو نائب فاعل والجملة صلة الموصول، الكتاب مفعول به ثان منصوب، إلا أداة استثناء تفيد الحصر من بعد جار ومجرور متعلقان بتفرق، ما مصدرية جاءتهم فعل ماضى مبنى والضمير فى محل نصب مفعول به والبينة فاعل مؤخر مرفوع، والجملة المصدرية وما فى حيزها فى محل جر بالإضافة للظرف "بعد".

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ	الواو حالية، ما نافية أمروا فعل ماض مبنى للمجهول والواو نائب فاعل فى محل رفع إلا أداة استثناء للحصر ليعبدوا مضارع منصوب بعد لام التعليل والواو فاعل، الله لفظ الجلالة منصوب على التعظيم، مخلصين حال منصوب بالياء له جار ومجرور متعلقان بمخلصين، الدين مفعول به لاسم الفاعل مخلصين، حنفاء حال ثانية.
وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ	الواو عاطفة، يقيموا مضارع منصوب معطوف على ليعبدوا والواو فاعل الصلاة مفعول به ويؤتوا الزكاة عطف على ما سبق وبنفس الإعراب.
وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ	الواو عاطفة أو حالية ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ دين خبر مرفوع، القيمة مضاف إليه مجرور.
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ	إن حرف توكيد ونصب، الذين اسم موصول فى محل نصب اسم إن، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول، من أهل الكتاب جار ومجرور والكتاب مضاف إليه والمشركين معطوف على أهل الكتاب فى محل نصب حال فى نار جهنم فى محل رفع خبر أن، خالدين حال مقدرة من الضمير المستكن فى الخبر، فيها جار ومجرور متعلقان بخالدين أولئك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، هم ضمير فى محل رفع مبتدأ ثان أو ضمير فصل، شر خبر مرفوع، البرية مضاف إليه مجرور والجملة من المبتدأ الثانى وخبره فى محل رفع خبر المبتدأ أولئك.
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ	الآية مماثلة لما قبلها فى الإعراب تماما.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ	جزاؤهم مبتدأ مرفوع والضمير فى محل جر بالإضافة، عند ظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف إليه مجرور، جنات خبر مرفوع بالضمة عدن مضاف إليه مجرور وجملة تجرى من تحتها الأنهار نعت لجنات خالدين حال من عامل محذوف تقديره دخولها، فيها جار ومجرور متعلقان بخالدين، أبدا ظرف زمان منصوب وجملة "رضى الله عنهم ورضوا عنه" يجوز أن تكون دعائية لا محل لها ويجوز أن تكون خبرا ثانيا ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، لمن جار ومجرور فى محل رفع خبر وجملة خشى ربه صلة الموصول لا محل لها أيضا.

من ألوان البلاغة

اشتملت السورة الكريمة على بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الاستعارة التصريحية فى قوله تعالى ﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ فلفظة مطهرة فيها استعارة حيث تنزه الصحف عن الباطل بطهارتها عن الأنجاس.
- الطباق بين "خير البرية" و "شر البرية".
- الإجمال بعد التفصيل فى قولة تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ ثم فصلها بقوله ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾.
- المقابلة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار فى قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖